جنة العارفين إهداء :

جنة العارفين

إهـــــــداء :

أهدي هذا العمل لكل من أراد أن يتعرف علي ربه سبحانه وتعالى ويظل تحت أمره ونهيه ويتقلب بين عبادته ليل نهار.

المقدمة :

جاشت نفسي وطاقت لأن أكون عبداً ربانياً وأكون من الذين يبذلون أنفسهم وكل ما يملكون ابتغاء وجه الله سبحانه فأردت أن أذكر نفسي وغيري بسطور قليلة وكلمات بسيطة وصفحات لا تجعل من يقرأها يمل فإليك كلماتي البسيطة.....

جنة العارفين :

يقوم الإنسان ببعض الطاعات من صيام وقيـــام وغيرها من أعمال الجوارح، لكن دون حضور قلب .. فيظل ساكنًا في مكانه ولا يتقدَّم إيمانيًا .. بينما من يتعرَّف على الله عزَّ وجلَّ ويوجه بوصلة قلبه بشكل صحيح أثناء تأديته للطاعات، هو الذي يفوز بقصب السبق .قال أبو سليمان الداراني "إن الله تعالى يفتح للعارف على فراشه، ما لم يفتح له وهو قائمٌ يصلي"[مدارج السالكين (3,341)]فإذا كانت دعامة البيت أساسه فإن دعامة هذا الدين ه) المعرفة بالله تعالى 2) اليقين 3) العقل القامع ..فمعرفة الله تعالى ينشأ عنها اليقين، الذي ينتج عنه العقل القامع .. وهو العقل الزاجر، الذي يكفك عن المعاصي ويحثك على الطاعة فكيف تصل إلى معرفة الله عزَّ وجلَّ ؟؟طرق تحصيل المعرفة أولاً: معرفة أسماء الله وصفـاته .. فلكي تتعرَّف على الله عزَّ وجلَّ، لابد أن تتدبر أسمائه وصفاته وبالأخص الأسماء والصفات الواردة في خواتيم الآيـــات ..فلا تشرد في صلاتك وتفاعل مع الآيـــات التي تُتلى، وحينما تسمع قوله تعالى {.. وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ}[الأحزاب: 235] .. تعلم أن الله عزَّ وجلَّ يعلم ما يخطر ببالك وتُحدِث به نفسك .. ولكنه سبحانه وتعالى غفـور لمن يستدرك أمره، حليـــــم على من شَرَد و بَعُد وأقتضى فعله العقوبة والغضب، فحَلُمَ الله تعالى عنه حتى يفيق وهكذا تتدبَّر الأسماء والصفات الواردة في خواتيم الآيـــات، والتي تأتي مع قوله تعالى {.. وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ ..} .. لكي تعلم من هو ربَّك عزَّ وجلَّ.ثانيًا: صدق الله في المعاملة .. لأن الله عزَّ وجلَّ شكور، فإذا أقبلت عليه بصدق سيشكر عملك ويرزقك معرفته سبحانه وتعالى ..فتتعرَّف على الله الشكور، الحليم، الجواد، الكريم، الأكرم سبحـــانه وتعالى ..

فاحرص على ألا يزيغ قلبك، ولا تخـــــادع ولا تتلوَّن ..

إنما واجه وطَهِّر،،ثانياً: التنقي من الأخلاق الرديئة .فالمشاكل والآفـات النفسية التي بداخلك، تقف حائلاً بينك وبين المعرفة والفهم عن الله عزَّ وجلَّ .. فينبغي أن تتخلَّص منها، حتى لا تقطع الطريق بينك وبين ربِّك ..إذًا، كيف تعرف إن كنت قد توَّصلت لمعرفة الله عزَّ وجلَّ أم لا؟هناك علامات لمن عَرِف الله عزَّ وجلَّ، فكلما وجدت أثر لإحدى هذه العلامـات في قلبك، اعلم أنك تتقدم في الطريق فمن يتقدَّم، سيدنو ويتقرَّب .. وحينها سيتعرَّف ..

علامـــات معرفة الله عزَّ وجلَّ

العلامة الأولى: تعظيم الله سبحانه وتعالى ..

قال بعضهم "من إمارات المعرفة بالله: حصول الهيبة منه، فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته"[مدراج السالكين (3,338)]فلابد أن تُعظِّم جميع أوامره ونواهيه، وتستشعر من قلبِك أن الله عزَّ وجلَّ هو الأعلى والأجل، الكبير، العلي، المُتعـال سبحانه وتعالى ..هل تُعَظِّم ربَّك جلَّ جلاله حقَّ التعظيم؟

العلامة الثانية: السكينة في القلب ..

وقيل أيضًا "المعرفة توجب السكون، فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينته" [مدراج السالكين](3,338)فتتعلم درس الانكسار والافتقار لله سبحانه وتعالى .. فتتخلَّص من تلك النفس التمردية التي كانت تدعوك للجدال والخلاف طوال الوقت، وتصير أكثر تواضعًا وخضوعًا ويغلب على حالك السكون والهدوء والطمأنينة. هل تشعر بالأمان والطمأنينة والسكينة؟؟

العلامة الثالثة: محو العلائق ..

قال الشبلي "ليس لعارفٍ علاقة، ولا لمحبٍ شكوى، ولا لعبدٍ دعوى، ولا لخائفٍ قرار، ولا لأحدٍ من الله فرار" [مدراج السالكين (3,338)]فمن يتعرَّف على الله عزَّ وجلَّ، لا يتعلَّق قلبه بشيءٍ سواه سبحانه وتعالى .. ويتذوَّق البلاء بطعم آخر، فلا يشتكي لأنه مُحِب لله عزَّ وجلَّ .. ولو استشعر مقام العبودية، الذي يقتضي الحب التـــام والذل التـــام لله ربِّ العالمين .. سيعلم أنه عبدٌ فقير ذليل، فلا يدَّعي أن الله تعالى قد أختصه بشيء من دون الناس .. ومع هذا كله يكون خائف وَجِل ألا يُقبَل عمله، قال تعالى {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} [المؤمنون: 60]هل تخلصت من العلائق التي تشغلك وتقطعك عن الله تعالى؟؟

العلامة الرابعة: التبرُّؤ والتفويض ..

فمَنْ عَرِف الله تعالى، استشعر عجز نفسه ومدى تقصيرها، وعجز لسانه أن يُثني عليه سبحانه حقَّ الثناء .. كما في قوله " .. لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك" [رواه مسلم]وقال النبي لأم المؤمنين جويرية رضي الله عنها "لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته" [رواه مسلم].. فجمع في تلك الكلمات جميع الأمور التي يتضاعف بها الأجر؛ لأن العبد لا يستطيع بحال أن يوافي ربَّه حتى في مقام التنزية

.العلامة الخامسة: شدة الخوف ..قال تعالى {.. إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} [فاطر: 28] ..فمعرفة الله عزَّ وجلَّ تقتضي الخشية، وحينها ستشتعر مراقبة الله تعالى لك في جميع أحوالك وستردع نفسك عن الوقوع في المعاصي في سرك وعلانيتك.

العلامة السادسة: ضيق الدنيـا بسعتها ..

مَنْ عَرِفَ الله تضيق عليه الدنيـا؛ لأنها سجنه الذي يمنعه من التواصل عن قُرب مع ربِّه جلَّ وعلا .. فيكون مع الناس بجسده، لكن قلبه ليس معهم .. فهو يتطلَّع لعبور هذا الجسر للوصول إلى جنَّة الخُلد ومنها إلى يوم المزيد .. يوم يتجلى الله تبـارك وتعالى للعبيـد.

العلامة السابعة: صفاء العيش وطيب الحيـــاة ...

يقول ابن القيم "مَنْ عَرِف الله صفا له العيش وطابت له الحياة، وهابه كل شيء وذهب عنه خوف المخلوقين وأنس بالله" [روضة المحبين ونزهة المشتاقين (27,14)]فبينما الدنيا قد ضاقت عليه وتَعِبَ منها، توجد حيـاة في قلبه .. ففي وجدانه يشعر برَغَد العيش وحلاوة الإيمـان ولذة القُرب والمناجـــاة .. فيصفو له العيش مع الله عزَّ وجلَّ ..

العلامة الثامنة: الحيـــاء ..

قال ابن عطاء "المعرفة على ثلاثة أركان: الهيبة والحيـــاء والأنس" [مدراج السالكين (3,341)]

فلو عرفته حق المعرفة، ستستحي منه لا محـالة .. قال رسول الله "واستحي من الله استحياءك رجلاً من أهلك" [السلسلة الصحيحة (3559)]

العلامة التاسعة: تتبدى عليه أنوار الصفـات

فمن آثار المعرفة، أن يتحلى العبد بصفات الجمـال التي وصف الله عزَّ وجلَّ بها نفسه .. فالله سبحانه وتعالى حليـم، فينبغي أن تحلُم في معاملتك للناس .. وهو سبحانه وتعالى عفو غفور ،فلا ترد مساوئ الناس إلا بالإحسان .. قال تعالى {ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ الله لعفو غَفُورٌ {[الحج: 60]**العلامة العاشرة: جمع الشمل والهم ..**

قال بعضهم "لا يكون العارف عارفًا حتى لو أعطي ملك سليمان لم يشغله عن الله طرفة عين" [روضة المحبين ونزهة المشتاقين (27,15)]فمَنْ عَرِف ربَّه لا يرى غيره .. وأي موقف يمر به في حياته، يعلم أنه رسالةٌ له من الله سبحانه وتعالى .. ولا ينشغل عن ربِّه بأي أمر من أمور الدنيـا.

العلامة الحادية عشر: المبادرة للطـاعـات ..

فمَنْ عَرِف الله تعالى، يُبادر للطاعـات ويُسارع في القُربـات .. يطير قلبه، ليُحلِق في جنة المعرفة بربِّ الأرض والسماوات

العلامة الثانية عشر: لذة التعبُّد ..

فقد تبكي عينه من خشية الله، ولكن بداخل قلبه لذة واحساس بالسكينة والأمـان.

العلامة الثالثة عشر: دوام الثنـاء والمحاسبة ..

قال يحيى بن معاذ "يخرج العارف من الدنيا ولم يقض وطره من شيئين: بكاؤه على نفسه، وثناؤه على ربِّه" [الفوائد (1,34)]وهذا بسبب معرفته بنفسه وعيوبه وآفاته، ومعرفته بربِّه وكماله وجلاله .. فهو شديد الازدراء على نفسه، لَهِج بالثناء على ربِّه.

العلامة الرابعة عشر: التخلُّص من حظ النفس ..قال أبو يزيد "إنما نالوا المعرفة بتضييع ما لهم والوقوف مع ماله" [مدارج السالكين (8:96)]

العلامة الخامسة عشر :

التخلص من حظ الشيطان...

فيُضيِّع حظوظ نفسه في سبيل تحقيق حقوق الله عزَّ وجلَّ .. كأن يُضيِّع شهوته في النوم والراحة، ليقوم ويقف بين يدي الله عزَّ وجلَّ.

قال ذو النون "لكل شيء عقوبة، وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله" .. وقيل "العارف من أنس بالله فأوحشه من الخلق، وافتقر إلى الله فأغناه عنهم، وذل لله فأعزه فيهم، وتواضع لله فرفعه بينهم، واستغنى بالله فأحوجهم إليه" [مدارج السالكين](3:341)فهو مستأنس بربّه، مستوحش ممن يقطعه عنه،،تلك خمسة عشر علامة، عليك أن تتعرَّف على الله عزَّ وجلَّ من خلالها .. حتى لا تظل طوال عمرك تجري في مكانك، دون أن تتقدَّم في الطريق إلى الله سبحانه ومن تعرَّف، فقد فـــــاز ان العارف بالله هو: من اذا ذكر الله افتخر، واذا ذكر نفسه احتقر، واذا نظر في آيات الله اعتبر، وإذا هم بمعصية أو شهوة انزجر، وإذا ذكر ذنوبه استغفر، واذا ذكر عفو الله استبشر فما أكثر الذين يدعون معرفة الله تعالى في هذا الزمان الذي انحطت فيه معظم القيم وانحدرت الاخلاق، وهناك بعض البله من الناس يتمسحون ببركة هذا المدعي ويخطبون وده، ويودون التقرب اليه، ويطلق احدهم لنفسه العنان ليحدث الناس عن خوارق عاداته، وغريب صفاته وفعاله.. ان امثال هؤلاء المدعون لمعرفة الله دون علم لا حساب لهم ولا قيمة، فاذا ما اردت التعرف على العارف بالله معرفة حقيقية فتلك صفاته: انه اذا ذكر الله افتخر، لأنه يؤمن بانه اذا ذكر الله ذكره، واذا تقرب اليه حباه وفضله وكرمه، ان العارف بالله اذا ذكر نفسه احتقرها، لأنه مهما اخلص في العبادة والطاعة فهو في حاجة الى المزيد ثم انه يهضم نفسه فلا يدل على خلق الله بعبادته وبطاعته، لان عبادته وطاعته لا تعود على احد سواه، وسبحان من لا تنفعه طاعة، ولا تضره معصية.. ان العارف بالله اذا نظر الى كتاب الله المنظور وهو الكون الفسيح اعتبر واتعظ.. فمن الذي خلق السماء بلا عمد؟ ومن الذي بسط الارض على ماء جمد؟ ان العارف بالله يحاول جاهدا الابتعاد عن المعاصي والآثام بل انه ينزجر اذا حدثته نفسه بارتكاب امر يغضب الله عز وجل.. ان العارف بالله يتذكر ذنوبه فيستغفر ويتوب لأنه سمع الله يقول (لا تقنطوا من رحمة الله).. ان العارف بالله اذا ذكر عفو الله استبشر.. وما اجمل وصف ضرار الصدائي لعلي كرم الله وجهه عندما طلب منه معاوية ذلك فقال: (كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فضلا ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه وتنطلق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته، وكان والله غزير العبرة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحدنا يجيبنا اذا سألناه، وينبئنا اذا استنبأناه، ونحن مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكاد نكلمه لهيبته ولا نبتدئه لعظمه، يعظم اهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله واشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد ارخى الليل سدوله، وغارت نجومه وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول يادنيا غري غيري، إلي تعرضت أم الي تشوقت؟ هيهات هيهات قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها فعمرك قصير، وخطرك حقير آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق. ان معاوية يبكي بعد الوصف الصادق للعارف بالله علي كرم الله وجهه ويقول رحم الله ابا الحسن فلقد كان كذلك، فكيف حزنك يا ضرار؟ قال حزن من ذبح وحيدها في حجرها : تشبه بعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه فإن التشبه بالكرام فلاح.* قال بعض العارفين : إن العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة. فيقول إبليس : ليتني لم أوقعه في الذنب.* قال بعض العارفين : أنا أعلم متى يغفر الله لي ، قيل : ومتى ؟ قال : إذا تاب على.* قال الخواص : الصبر هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة.* قال رويم : الصبر ترك الشكوى. * قال حمدون القصار : شكر النعمة أن ترى نفسك فيها طفيليا* قال أبو عثمان : الشكر معرفة العجز عن الشكر قال أبو سليمان الداراني : البكاء من الخوف، والرجاء والطرب من الشوق* قال شاه الكرماني : علامة الخوف الحزن الدائم * قال الحسن : لو لم يذنب المؤمن لكان يطير في ملكوت السماء ولكن الله تعالى قمعه بالذنوب.* رأى بعضهم أبا سهل الصعلوكى في المنام على هيئة حسنة لا توصف، فقال له : يا أستاذ، بم نلت هذا ؟ فقال: بحسن ظني بربى.* قال الجنيد : حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة (من تعلق قلبه بحب الدنيا). قال ذو النون : قل لمن أظهر حب الله أحذر أن تذر لغير الله.* قال ذو النون : ثلاثة من أعلام الرضا : ترك الاختيار قبل القضاء، وفقدان المرارة بعد القضاء، وهيجان الحب في حشو البلاء.* قال الفضيل لبشر : الرضا أفضل من الزهد في الدنيا، لأن الراضي لا يتمنى فوق منزلته* قال الدقاق : الورع ترك الشبهات قال يحيى بن معاذ : الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل باب التفكير فعظيم مخلوقات الله تعالى* قال بشر : لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله عز وجل* قال أبو سليمان : عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكر.* قال أبو عبدالله الروذبارى : التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله* قال ابن عطاء : للتقوى ظاهر وباطن، فظاهره محافظة الحدود، وباطنه النية* قال الجريري : أمرنا هذا مبنى على فصلين وهما : أن تلزم نفسك المراقبة لله تعالى، ويكون العلم على ظاهرك قائما.* قال إبراهيم الخواص : المراعاة تورث المراقبة، والمراقبة تورث خلوص السر والعلانية لله قال أبو على الدقاق : من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرائره بالمشاهدة. قال السرى السقطي : يا معشر الشباب جدوا قبل أن تبلغوا مبلغي فتضعفوا وتقصروا كما ضعفت وقصرت، وكان في ذلك الوقت لا يلحقه الشباب في العبادة* قال الجنيد : النفس الأمارة بالسوء هي الداعية إلى المهالك، المعينة للأعداء، المتبعة للهوى، المتهمة بأصناف الأسواء* قال سهل بن عبدالله : ما عبد الله بشيء مثل مخالفة النفس والهوى. **ففي شعب الإيمان عن سفيان بن عيينة قال بعض الفقهاء : كان يقال العلماء ثلاثة : عالم بالله وعالم بأمر الله وعالم بالله وبأمر الله؛ فأما العالم بالله فهو الذي يخاف الله ولا يعلم السنة، وأما العالم بأمر الله فهو الذي يعلم السنة ولا يخاف الله، و أما العالم بالله و بأمر الله فهو الذي يعلم السنة ويخاف الله فذلك الذي يدعى عظيماً في ملكوت السموات. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى: للمؤمنين العارفين بالله المحبين له من مقامات القرب ومنازل اليقين ما لا تكاد تحيط به العبارة ولا يعرفه حق المعرفة الا من أدركه وناله وعليه؛ فتعريف العارف بالله: هو العالم به المحب له العامل بشريعته المتبع لسنة نبيه. واستخدام هذه الألفاظ واستغلالها من قبل غلاة الصوفية وبعض الفرق في وصف مشايخهم لا يلزم منه أنها من بدعهم وضلالاتهم ؛ فهم يستغلون الألفاظ الشرعية ويستعملون عبارات أهل العلم.. لترويج ما هم عليه، وقد وردت هذه العبارات في كتب كثير من أهل العلم والسنة وخاصة المتأخرين منهم كشيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى، وابن القيم في مدارج السالكين...قال الغزالي العارف بالله تعالى الموقن به خير من ألف قلب من العوام، وقد قال تعالى: وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين؛ تفضيلا للمؤمنين على المسلمين. والمراد به المؤمن العارف دون المقلد، وقال عز وجل: يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات، فأراد ههنا بالذين آمنوا: الذين صدقوا من غير علم وميزه مع عن الذين أوتوا العل.. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى: والعبد العارف بالله تتحد إرادته بإرادة الله بحيث لا يريد إلا ما يريده الله أمرا به ورضا، ولا يحب الا ما يحبه الله، ولا يبغض إلا ما يبغضه الله، ولا يلتفت إلى عذل العاذلين ولوم اللائمين كما قال سبحانه وتعالى: فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم.. والكلام في**

مقامات العارفين طويل. وقال ابن القيم: .. ذنب العارف بالله قد يترتب عليه حسنات أكبر منه وأكثر وأعظم نفعا وأحب إلى الله من عصمته من ذلك الذنب: من ذل وانكسار وخشية وإنابة وندم وتدارك بمراغمة العدو بحسنة أو حسنات أعظم منه حتى يقول الشيطان: يا ليتني لم أوقعه فيما أوقعته فيه .وعلى هذا فهذه الألقاب لا حرج فيها ؛ فقد ذكرها أهل العلم من المتصوفة

ومن غيرهم ذكر القيرواني المالكي في الرسالة ممزوجا بالشرح: يذكر بعض أحوال العارفين و الأولياء ثم ذكر العارفين فقال و اعلموا أن عباد الله المستحفظين علمه إلى قوله و هذبه التمحيص . و اعلم أن الكلام في العرفان لم يأخذه أهل الملة الإسلامية إلا عن هذا الرجل و لعمري لقد بلغ منه إلى أقصى الغايات و أبعد النهايات و العارفون هم القوم الذين اصطفاهم الله تعالى و انتخبهم لنفسه و اختصهم بأنسه أحبوه فأحبهم و قربوا منه فقرب منهم قد تكلم أرباب هذا الشأن في المعرفة و العرفان فكل نطق بما وقع له و أشار إلى ما وجده في وقته . و كان أبو علي الدقاق يقول من أمارات المعرفة حصول الهيبة من الله فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته . و كان يقول المعرفة توجب السكينة في القلب كما أن العلم يوجب السكون فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينته . و سئل الشبلي عن علامات العارف فقال ليس لعارف علامة و لا لمحب سكون و لا لخائف قرار . و سئل مرة أخرى عن المعرفة فقال أولها الله و آخرها ما لا نهاية له . و قال أبو حفص الحداد منذ عرفت الله ما دخل قلبي حق و لا باطل و قد أشكل هذا الكلام على أرباب هذا الشأن و تأوله بعضهم فقال عند القوم إن المعرفة توجب غيبة العبد عن نفسه لاستيلاء ذكر الحق عليه فلا يشهد غير الله و لا يرجع إلا إليه و كما إن العاقل يرجع إلى قلبه و تفكره و تذكره فيما يسنح له من أمر أو يستقبله من حال فالعارف رجوعه إلى ربه لا إلى قلبه و كيف يدخل المعنى قلب من لا قلب له . و سئل أبو يزيد البسطامي عن العرفان فقال إنَّ اَلْمُلُوكَ إذا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوها وَ جَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً و هذا معنى ما أشار إليه أبو حفص الحداد . و قال أبو يزيد أيضا للخلق أحوال و لا حال للعارف لأنه محيت رسومه و فنى هو و صارت هويته هوية غيره و غيبت آثاره في آثار غيره . قلت و هذا هو القول بالاتحاد الذي يبحث فيه أهل النظر . و قال الواسطي لا تصح المعرفة و في العبد استغناء بالله أو افتقار إليه و فسر بعضهم هذا الكلام فقال إن الافتقار و الاستغناء من أمارات صحو العبد و بقاء رسومه على ما كانت عليه و العارف لا يصح ذلك عليه لأنه لاستهلاكه في وجوده أو لاستغراقه في شهوده إن لم يبلغ درجة الاستهلاك في الوجود مختطف عن إحساسه بالغنى و الفقر و غيرهما من الصفات و لهذا قال الواسطي من عرف الله انقطع و خرس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) . و قال الحسين بن منصور الحلاج علامة العارف أن يكون فارغا من الدنيا و الآخرة . و قال سهل بن عبد الله التستري غاية العرفان شيئان الدهش و الحيرة . و قال ذو النون أعرف الناس بالله أشدهم تحيرا فيه . و قيل لأبي يزيد بما ذا وصلت إلى المعرفة قال ببدن عار و بطن جائع و قيل لأبي يعقوب السوسي هل يتأسف العارف على شيء غير الله فقال و هل يرى شيئا غيره ليتأسف عليه . و قال أبو يزيد العارف طيار و الزاهد سيار . و قال الجنيد لا يكون العارف عارفا حتى يكون كالأرض يطؤها البر و الفاجر و كالسحاب يظل كل شيء و كالمطر يسقى ما ينبت و يزيد لا ينبت . و قال يحيى بن معاذ يخرج العارف من الدنيا و لا يقضى وطره من شيئين بكائه على نفسه و حبه لربه . و كان ابن عطاء يقول أركان المعرفة ثلاثة الهيبة و الحياء و الأنس و قال بعضهم العارف أنس بالله فأوحشه من خلقه و افتقر إلى الله فأغناه عن خلقه و ذل لله فأعزه في خلقه . و قال بعضهم العارف فوق ما يقول و العالم دون ما يقول . و قال أبو سليمان الداراني **إن الله يفتح للعارف على فراشه ما لا يفتح للعابد و هو قائم يصلي** . و كان رويم يقول رياء العارفين أفضل من إخلاص العابدين . و سئل أبو تراب النخشبي عن العارف فقال هو الذي لا يكدره شيء و يصفو به كل شيء . و قال بعضهم المعرفة أمواج ترفع و تحط . و سئل يحيى بن معاذ عن العارف فقال الكائن البائن . و قيل ليس بعارف من وصف المعرفة عند أبناء الآخرة فكيف عند أبناء الدنيا . و قال محمد بن الفضل المعرفة حياة القلب مع الله . و سئل أبو سعيد الخراز هل يصير العارف إلى حال يجفو عليه البكاء قال نعم إنما البكاء في أوقات سيرهم إلى الله فإذا صاروا إلى حقائق القرب و ذاقوا طعم الوصول زال عنهم ذلك . و اعلم أن إطلاق أمير المؤمنين علي عليهم لفظة الولاية في قوله يتواصلون بالولاية و يتلاقون بالمحبة يستدعي الخوض في مقامين جليلين من مقامات العارفين المقام الأول الولاية و هو مقام جليل قال الله تعالى أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اَللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ وجاء في الخبر الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى من آذى لي وليا فقد استحل محارمي و ما تقرب إلي العبد بمثل أداء ما فرضت عليه و لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه و لا ترددت في شيء أنا فاعله كترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت و أكره مساءته و لا بد له منه . و اعلم أن الولي له معنيان أحدهما فعيل بمعنى مفعول كقتيل و جريح و هو من يتولى الله أمره كما قال الله تعالى إِنَّ وَلِيِّيَ اَللَّهُ اَلَّذِي نَزَّلَ اَلْكِتابَ وَ هُوَ يَتَوَلَّى اَلصَّالِحِينَ فلا يكله إلى نفسه لحظة عين بل يتولى رعايته . و ثانيهما فعيل بمعنى فاعل كنذير و عليم و هو الذي يتولى طاعة الله و عبادته فلا يعصيه . و من شرط كون الولي وليا ألا يعصي مولاه و سيده كما أن من شرط كون النبي نبيا العصمة فمن ظن فيه أنه من الأولياء و يصدر عنه ما للشرع فيه اعتراض فليس بولي عند أصحاب هذا العلم بل هو مغرور مخادع . **و يقال إن أبا يزيد البسطامي قصد بعض من يوصف بالولاية فلما وافى مسجده قعد ينتظر خروجه فخرج الرجل و تنخم في المسجد فانصرف أبو يزيد و لم يسلم عليه و قال هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة كيف يكون أمينا على أسرار الحق . و قال إبراهيم بن أدهم لرجل أ تحب أن تكون لله وليا قال نعم قال لا ترغب في شيء من الدنيا و لا من الآخرة و فرغ نفسك لله و أقبل بوجهك عليه ليقبل عليك و يواليك** . و قال يحيى بن معاذ في صفة الأولياء هم عباد تسربلوا بالأنس بعد المكابدة و ادرعوا بالروح بعد المجاهدة بوصولهم إلى مقام الولاية . و كان أبو يزيد يقول أولياء الله عرائس الله و لا يرى العرائس إلا المحارم فهم مخدرون عنده في حجاب الأنس لا يراهم أحد في الدنيا و لا في الآخرة . و قال أبو بكر الصيدلاني كنت أصلح لقبر أبي بكر الطمستاني لوحا أنقر فيه اسمه فيسرق ذلك اللوح فأنقر له لوحا آخر و أنصبه على قبره فيسرق و تكرر ذلك كثيرا دون غيره من ألواح القبور فكنت أتعجب منه فسألت أبا علي الدقاق عن ذلك فقال إن ذلك الشيخ آثر الخفاء في الدنيا و أنت تريد أن تشهره باللوح الذي تنصبه على قبره فالله سبحانه يأبى إلا إخفاء قبره كما هو ستر نفسه . و قال بعضهم إنما سمي الولي وليا لأنه توالت أفعاله على الموافقة و قال يحيى بن معاذ الولي لا يرائي و لا ينافق و ما أقل صديق من يكون هذا خلقه . المقام الثاني المحبة قال الله سبحانه مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اَللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ و المحبة عند أرباب هذا الشأن حالة شريفة . **قال أبو يزيد البسطامي المحبة استقلال الكثير من نفسك و استكثار القليل من حبيبك . و قال أبو عبد الله القرشي المحبة أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شيء** و أكثرهم على نفي صفة العشق لأن العشق مجاوزة الحد في المحبة و البارئ سبحانه أجل من أن يوصف بأنه قد تجاوز أحد الحد في محبته . سئل الشبلي عن المحبة فقال هي أن تغار على المحبوب أن يحبه أحد غيرك . و قال سمنون ذهب المحبون بشرف الدنيا و الآخرة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال المرء مع من أحب فهم مع الله تعالى . **و قال يحيى بن معاذ حقيقة المحبة ما لا ينقص بالجفاء و لا يزيد بالبر . و قال ليس بصادق من ادعى محبته و لم يحفظ حدوده** . و قال الجنيد إذا صحت المحبة سقطت شروط الأدب و كان أبو علي الدقاق يقول ألست ترى الأب الشفيق لا يبجل ولده في الخطاب و الناس يتكلفون في مخاطبته و الأب يقول له يا فلان باسمه و قال أبو يعقوب السوسي حقيقة المحبة أن ينسى العبد حظه من الله و ينسى حوائجه إليه . قيل للنصر آباذي يقولون إنه ليس لك من المحبة شيء قال صدقوا كان يقال الحب أوله خبل و آخره قتل . و قال أبو علي الدقاق في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي و يصم قال يعمي و يصم عن الغير إعراضا و عن المحبوب هيبة و

سيد أحمد
أمين

قال الجنيد سمعت الحارث المحاسبي يقول المحبة إقبالك على المحبوب بكليتك ثم إيثارك له على نفسك و مالك و ولدك ثم موافقتك له في جميع الأمور سرا و جهرا ثم اعتقادك بعد ذلك أنك مقصر في محبته . و قال الجنيد سمعت السري يقول لا تصلح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر يا أنا . و قال الشبلي المحب إذا سكت هلك و العارف إذا لم يسكت هلك . و قيل المحبة نار في القلب تحرق ما سوى ود المحبوب . و قيل المحبة بذل الجهد و الحبيب يفعل ما يشاء . و قال الثوري المحبة هتك الأستار و كشف الأسرار .حبس الشبلي في المارستان بين المجانين فدخل عليه جماعة فقال من أنتم قالوا محبوك أيها الشيخ فأقبل يرميهم بالحجارة ففروا فقال إذا ادعيتم محبتي فاصبروا على بلائي . كتب يحيى بن معاذ إلى أبي يزيد البسطامي قد سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته فكتب إليه أبو يزيد غيرك شرب بحور السموات و الأرض و ما روي بعد و لسانه خارج و يقول هل من مزيد . يقال إن الله تعالى أوحى إلى بعض الأنبياء إذا اطلعت على قلب عبد فلم أجد فيه حب الدنيا و الآخرة ملأته من حبي وقال أبو علي الدقاق إن في بعض الكتب المنزلة عبدي أنا و حقك لك محب فبحقي عليك كن لي محبا . و قال عبد الله بن المبارك من أعطي قسطا من المحبة و لم يعط مثله من الخشية فهو مخدوع . و قيل المحبة ما تمحو أثرك و تسلبك عن وجودك . و قيل المحبة سكر لا يصحوا صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه ثم إن السكر الذي يحصل عند المشاهدة لا يوصف و كان يحيى بن معاذ يقول مثقال خردلة من الحب أحب إلي من عبادة سبعين سنة بلا حب . و قال بعضهم من أراد أن يكون محبا فليكن كما حكي عن بعض الهند أنه أحب جارية فرحلت عن ذلك البلد فخرج الفتى في وداعها فدمعت إحدى عينيه دون الأخرى فغمض التي لم تدمع أربعا و ثمانين سنة و لم يفتحها عقوبة لأنها لم تبك على فراق حبيبته قيل إن الله تعالى أوحى إلى داود ع إني حرمت على القلوب أن يدخلها حبي و حب غيري . و قيل المحبة إيثار المحبوب على النفس كامرأة العزيز لما أفرط بها الحب قالت أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ اَلصَّادِقِينَ و في الابتداء قالت ما جَزاءُ مَنْ أَرادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلاَّ أَنْ يُسْجَنَ فوركت الذنب في الابتداء عليه و نادت في الانتهاء على نفسها بالخيانة و قال أبو سعيد الخراز رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله اعذرني فإن محبة الله شغلتني عن حبك فقال يا مبارك من أحب الله فقد أحبني ثم نعود إلى تفسير ألفاظ الفصل قوله فيصونون مصونه أي يكتمون من العلم الذي استحفظوه ما يجب أن يكتم و يفجرون عيونه يظهرون منه ما ينبغي إظهاره و ذلك أنه ليس ينبغي إظهار كل ما استودع العارف من الأسرار و أهل هذا الفن يزعمون أن قوما منهم عجزوا عن أن يحملوا بما حملوه فباحوا به فهلكوا منهم الحسين بن منصور الحلاج و لأبي الفتوح الجارودي المتأخر أتباع يعتقدون فيه مثل ذلك . و الولاية بفتح الواو المحبة و النصرة و معنى يتواصلون بالولاية يتواصلون و هم أولياء و مثله و يتلاقون بالمحبة كما تقول خرجت بسلاحي أي خرجت و أنا متسلح فيكون موضع الجار و المجرور نصبا بالحال أو يكون المعنى أدق و ألطف من هذا و هو أن يتواصلوا بالولاية أي بالقلوب لا بالأجسام كما تقول أنا أراك بقلبي و أزورك بخاطري و أوصلك بضميري . قوله و يتساقون بكأس روية أي بكأس المعرفة و الأنس بالله يأخذ بعضهم عن بعض العلوم و الأسرار فكأنهم يتساقون بكأس من الخمر . قال و يصدرون برية يقال من أين ريتكم مفتوحة الراء أي من أين ترتوون الماء . قال لا تشوبهم الريبة أي لا تخالطهم الظنة و التهمة و لا تسرع فيهم الغيبة لأن أسرارهم مشغولة بالحق عن الخلق . قال على ذلك عقد خلقهم و أخلاقهم الضمير في عقد يرجع إلى الله تعالى أي على هذه الصفات و الطبائع عقد الخالق تعالى خلقتهم و خلقهم أي هم متهيئون لما صاروا إليه . قال فعليه يتحابون و به يتواصلون أي ليس حبهم بعضهم بعضا إلا في الله و ليست مواصلتهم بعضهم بعضا إلا لله لا للهوى و لا لغرض من أغراض الدنيا أنشد منشد عند عمر قول طرفة(فلو لا ثلاث هن من عيشة الفتى و جدك لم أحفل متى قام عودي فمنهن سبقي العاذلات بشربة كميت متى ما تعل بالماء تزبد و كري إذا نادى المضاف محبنا كسيد الغضا نبهته المتورد و تقصير يوم الدجن و الدجن معجب ببهكنة تحت الطراف المعمد) فقال عمر و أنا لو لا ثلاث هن من عيشة الفتى لم أحفل متى قام عودي حبي في الله و بغضي في الله و جهادي في سبيل الله . فكانوا كتفاضل أي مثلهم مثل الحب الذي ينتفي للبذر يستصلح بعضه و يسقط بعضه . قد ميزه التخليص قد فرق الانتقاء بين جيدة و رديئة و هذبه التمحيص قال النبي صلى الله عليه وسلم إن المرض ليمحص الخطايا كما تمحص النار الذهب أي كما تخلص النار الذهب مما يشوبه . ثم أمر علي المكلفين بقبول كرامة الله و نصحه و وعظه و تذكيره. هذا وأن الله سبحانه وتعالى يستحق منا كل صالح وكل بذل وتضحية بأنفسنا وبأرواحنا ابتغاء وجهه فهو صاحب النعم والفضل وله الولاية وله نركع ونسجد ونبتهل ونتضرع ليل نهار فيامن تريد الصلاح لدينك ودنياك تقرب من مولاك وخالقك فهو من سيدخلك جنته وتكون في حمايته وجواره في الدنيا والآخرة. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام علي المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلي اللهم علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم.

أعده وكتبه العبد الفقير /سيد أحمد أمين

في يوم الأحد الموافق 17 /2017/12